وفي الاختياري بين الطلوعين، الواجب كله والركن مسماه، وقد وردت المعتبرة «إذا فاتك المزدلفة فقد فاتك الحج»[١] وقياساً بين اختياري عرفات واضطراريِّه وبين اختياري المشعر واضطراريه تأتي الفروض التالية، بين ما يصح فيه الحج إجماعاً وحسب النصوص كالأولين، وما يبطل إجماعاً وحسب النصوص كالثامن، وما اختلفت فيه الفتاوى كالخمسة الباقية والترجيح مع الدليل.

١ - إن أدرك اختياري المشعر صح حجّه على أية حال، مهما أدرك عرفة اختيارياً أم اضطرارياً.

٢ - إن أدرك اختياري عرفة واضطراري المشعر صح حجه دون ريب[٢].

٣ - إن أدرك - فقط - اضطراري المشعر - النهاري - بطل حجه على الأظهر، ولكن إن أدركه قبل طلوع الشمس صح لأنه من اختياريِّه[٣].

٤ - إن أدرك اضطراري عرفة والمشعر صح حجه على الأظهر، وينبغي أن يعيده في القابل[٤].

---

(١) الوسائل ١٠: ٦٣ وفيه من أدرك جمعاً فقد أدرك الحج.

(٢) كما في صحيحة معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في رجل أفاض من عرفات فأتى منى؟ قال: «يرجع فيأتي جمعاً فيقف بها وإن كان الناس قد أفاضوا من جمع» وصحيحة يونس بن يعقوب قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل أفاض من عرفات فمر بالمشعر فلم يقف حتى انتهى إلى منى فرمى الجمرة ولم يعلم حتى ارتفع النهار؟ قال: يرجع إلى المشعر فيقف به ثم يرجع ويرمي الجمرة.
وفي الدر المنثور ١: ٢٢٣ - أخرج البيهقي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أفاض من عرفات قبل الصبح فقد تم» حجه ومن فاته فقد فاته الحج».

(٣) هنا في خصوص اضطراري المشعر الليلي أخبار معتبرة على كفايته، وبالنسبة لاضطرارية النهاري خبران متعارضان والبطلان أصرح، أم ولأقل تقدير يتساقطان والأصل - إذاً - البطلان.

(٤) كما في صحيحة الحسن العطار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أدرك الحاج عرفات قبل=

٥ - إن أدرك الاضطراري الليلي من المشعر مع اختياري عرفات صح حجه على الأظهر.

٦ - وكذلك إن إدراكه مع اضطراري عرفة.

٧ - إن أدرك فقط اختياري عرفة صح حجه على الأظهر حيث «الحج عرفة» والاحتياط حسن.

٨ - وإن أدرك - فقط - اضطراري عرفة بطل حجه قولاً واحداً.

﴿. . . فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

﴿فَٱذْكُرُواْ﴾ الأولى دليل واجب الذكر عنده، و﴿وَٱذْكُرُوهُ﴾ الثانية هي تؤكد الأولى، مزودة بكيفية الذكر ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لذكره، دون أن تذكروه مع من سواه، أو تذكروه بغير أسمائه الحسنى، ثم ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لما هداكم، فاذكروه شكراً لما هداكم لكي يزيدكم هدى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[1].

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل ما هداكم كضلال أول قبل الإيمان، أم وقبل الإحرام، كذلك ومن قبل المشعر الحرام، فقد تنسلك الضلالات الثلاث في سلك ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ولا سيما ضلال الكفر إذ كانت ولا شك تتواكب على خيالهم وذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم السابقة على الإيمان، الضالة المزرية الهابطة، التي كانت تطبع تاريخهم كله، ثم هم يتلفتون على أنفسهم ليروا مكانهم الجديد الذي رفعهم إليه الإسلام، فيدركون عمق هذه الحقيقة وأصالتها الحالية في كيانهم بلا جدال.

= طلوع الفجر فأقبل من عرفات ولم يدرك الناس بجمع ووجدهم قد أفاضوا فليقف قليلاً بالمشعر الحرام وليلحق الناس بمنى ولا شيء عليه.

(١) سورة محمد، الآية: ١٧.

ثم ضلال ثان قبل الإحرام وقبل وقوف عرفات، فإن ذكره في عرفات لم يكن كامل الذكر، وهو في المشعر الحرام كامله المغربل عما في عرفات، حيث تغربل فيه كل المعرفيات المستحضرة في عرفات، فحين يطل الحاج من تلك القمة الشامخة من شعور المعرفة في المشعر الحرام، يعرف قيمة الإيمان القمة، ويدركه العجب من انشغال هذه البشرية بما هي فيه من عبث وعنت وشقوة ورذالة وضآلة ضالة، هذا ويحتمل قوياً إن الذكر الثاني مطلقه الواجب، والأول هو الصلاة، تلميحاً بوجوبها عند المشعر الحرام، أم على من لم يصلها في عرفات، أم ولأقل تقدير وجوب فرض الفجر في المشعر الحرام لواجب الوقوف بينه وبين طلوع الشمس.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾:

﴿أَفِيضُوا﴾ هنا كما «أفضتم من عرفات» دليل واجب الوقوف فيه كما فيها، و﴿ثُمَّ﴾ مما يدل على واجب المكوث في الوقوف، مهما كفى مسماه عند الاضطرار وهو الركن، فإنما واجبه هو متعوّد الوقوف حسب السنة القطعية، ثم معنى ثان لـ﴿ثُمَّ﴾ أن تكون بياناً لـ﴿حَيْثُ أَفَاضَ﴾ من عرفات والمشعر الحرام، وتراها إفاضة من عرفات؟ وقد ذكرت، ثم تنافيها «ثم» المراخية لهذه الإفاضة عما سلفت من عرفات!.

أم هي - فقط - الإفاضة من المشعر الحرام - وطبعاً - إلى مُنى؟ وهي الظاهرة من «ثم» أم تعني الإفاضتين، مهما ذكرت الأولى أولاً، حيث الإفاضة هنا ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ زماناً ومكاناً وكيفاً، استناناً بسنة الناس وهم الموحدون السابقون، المؤتمون أئمتهم المرسلين، دون النسناس التاركين الإفاضة من عرفات، والمنحرفين في إفاضتهم من المشعر الحرام،

ولأن ﴿أَفِيضُواْ﴾ هنا مطلقة عن المشعر الحرام فقد تشمل معه عرفات؟ قد يؤيد ثالث ثلاثة حيث تتحمله الآية، وتدل عليه صحيح الرواية[١].

ثم وفي وجهة أخرى قد تعني «الناس» هنا فيما تعنيهم، بحر عرفات ومضيق المشعر الحرام، وهنا ﴿أَفِيضُواْ﴾ تخاطب الأقلية أمام الأكثرية الساحقة من فرق المسلمين المفيضين، مهما كانوا شيعة أم من السنَّة، فليس لهم أن يستقلوا في زمان الإفاضة أو مكانها وحتى إذا عنت: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ بالإفاضة من الجمع، فهي تشمل الإفاضة من عرفات لأنهما في واجب الإفاضة سيان أن تكون كما أفاض الناس دون تخلف عنهم فيها، فحين يثبت الهلال عند إخواننا، فهم يفيضون حسَبَه يومه التاسع من عرفات، ويومه العاشر من المشعر الحرام، ليس لأقلية سواهم - وهم الشيعة الإمامية أم مَن سواهم - أن يستقلوا في زمانها أو مكانها، استقلالاً باستغلال رؤيتهم أنفسهم، فضلاً عما لم يروا، فإن شعائر الحج هي الجماعية الجامعة لشتات المسلمين، ليس يحق لقليلهم مجابهة كثيرهم في تلك الشعائر العالمية.

فأفض حيث أفاض الناس، ولا تتخلف عنهم فتصبح من النسناس،

(١) كصحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا غربت الشمس في عرفة فأفض مع الناس . . . فإن الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ . . .﴾ (التهذيب ٥: ١٨٧ والكافي ١: ٢٩٤) ورواه في المجمع عن الباقر عليه السلام.
وفي تفسير العياشي عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: أولئك قريش كانوا يقولون: نحن أولى الناس بالبيت ولا يفيضون إلّا من المزدلفة فأمرهم الله أن يفيضوا من عرفة.
أقول: قد مر«ت روايات أخرى في هذا المعنى فلا نعيدها.
وفي الدر المنثور ١: ٢٢٦ - ٢٢٧ روايات متظافرة عن الرسول صلى الله عليه وآله والصحابة مثلما نقلناه من طريق أهل البيت عليهم السلام.

معارضاً شرعة إله الناس، منحرفاً عن مسيل الناس إلى مضيق المشعر وإلى منى، ومنحرفاً إلى سقاط الناس ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

فـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول هم أئمة الناس كإبراهيم وإسماعيل[٢] دون النسناس وهم الذين كانوا يتأنفون من الإفاضة من عرفات، أم والإفاضة الصالحة من المشعر الحرام.

و﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأخَر هم المسلمون على مختلف فرقهم، وبأحرى الرسول وأئمة أهل بيته الطاهرين الذين هم أولى الناس، فإنهم أئمة الناس الشامل لمثل إبراهيم وإسماعيل[٣].

فالناس الأول المعصومون هم الناس، والمسلمون ككل على مراتبهم هم أشباه الناس، وسائر الناس هم النسناس.

فمن خالف إفاضة الناس ليس هو لا من الناس ولا من أشباه الناس، فإن شرعة إله الناس هي الشرعة الجمعية الجماعية الوحدوية، دون تفرق في شعائرهم أيادي سبأ، مهما اختلفت آرائهم ونظراتهم حول الهلال وسواه، فإنهم يقدمون الواجب الأهم، وهو الحفاظ على شعائرية الحج بكل مناسكه.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٢) نور الثقلين ١: ١٩٦ عن معاوية عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: يعني إبراهيم وإسماعيل.

(٣) المصدر في روضة الكافي ابن محبوب عن عبد الله بن غالب عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني إن كنت عالماً عن الناس وعن أشباه الناس وعن النسناس؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا حسين أجب، فقال الحسين عليه السلام: أما قولك أخبرني عن الناس فنحن الناس ولذلك قال الله تبارك وتعالى ذكره في كتابه ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس.
وقد روي مثلها عن الإمام الحسن عليه السلام دون استدلال بالآية وإنما «نحن الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الناس نسناس».

ألا يا عارفاً في عرفات، ويا شاعراً دقيقاً رقيقاً في المشعر الحرام، قف حيث وقف الناس، ثم أفض حيث أفاض الناس، دون استقلالية لك، ولا استقلالية لأهل الحرم عن سواهم فلا يقفون في عرفات لأنها خارج الحرم، أم لأقلية خاصة لاختلاف في الهلال أماهية، فإن الإسلام ولا سيما في هذا الموقف الجمعي، ليس ليعرف حرماً عن سواه، ولا حُرَماً متخيلة، بل ولا نظرات واقعية، حيث تذوب كلها في تلك الشعائر الجماهيرية، رعاية للأهم الأتم.

فالمسلمون كلهم أمة واحدة، سواسية كأسنان المشط، وقد كلفوا في حقل الحج - التدريبي التجريبي لكلِّ الإسلام - أن يتجردوا عن كل ما يميزهم من الثياب، ليلتقوا في زيارة الله إخواناً دون أيّ تميُّز ولا تمييز، فهل هم يتجردون عن ثيابهم ليتخايلوا بالمفاخر والمآثر؟ كلا! بل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾... ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ من تلك الكبرة الجاهلية الحمقاء، والرعونة الجهلاء، واستغفروه من كل ما يمس الحج من مخالفات وخلافات تهجس في النفس فترجسها، وقد حلقت على كلها: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ﴾.

والسرّ المعرفي في ذلك الترتيب تجده عند إمام العارفين علي أمير المؤمنين عليه السلام حين سئل عن الوقوف بالجبل ولِمَ ولم يكن في الحرم؟ قال: لأن الكعبة بيت الله، والحرم باب الله، فلما قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرعون، قيل: يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر؟ قال: لأنه لمّا أذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني وهو المزدلفة، فلما أن طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنى فلما أن قضوا تفثهم وقربوا قربانهم فتطهروا بها من الذنوب التي كانت لهم إذن لهم بالوفادة إليه على الطهارة...[1].

(١) المصدر أخرج الطبراني عن عبادة بن صامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة: أيها الناس=

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ويغفر هناك كل الذنوب في تلكم المواقف الكريمة، حتى التي بينك وبين عباد الله، اللهم لا كما يروى[١] ثم اللهم بل وكما يروى في أخرى «إني قد غفرت»[٢] «وكفلت عنهم التبعات التي بينهم»[٣] وهنا الشيطان «أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو على رأسه التراب»[٤].

= إن الله تطوّل عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلّا التبعات فيما بينكم ووهب سيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، فادفعوا باسم الله، فلما كان بجمع قال: إن الله قد غفر لصالحيكم وشفع لصالحيكم في طالحيكم تنزل الرحمة فتعمهم ثم يفرق المغفرة في الأرض فيقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده وإبليس وجنوده بالويل والثبور.

(١) الدر المنثور ١: ٢٢٩ - أخرج البيهقي في الشعب عن أبي سليمان الداراني عن عبد الله بن أحمد بن عطية قال: سئل علي بن أبي طالب عن الوقوف بالجبل....

(٢) المصدر أخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ يوم عرفة ..

(٣) المصدر أخرج ابن ماجة والحكيم والترمذي في نوادر الأصول وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير والطبراني والبيهقي في سننه والضياء المقدسي في المختارة عن العباس بن مرداس السلمي أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه إني قد فعلت إلّا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال: يا رب إنك قادر على تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم؟ فلم يجبه تلك العشية فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله إني قد غفرت فتبسم رسول الله ﷺ فسأله أصحابه قال تبسمت من عدوّ الله إبليس إنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو على التراب رأسه.

(٤) المصدر أخرج ابن أبي الدنيا في الأضاحي وأبو يعلى عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تطول على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم، فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله فيقول يا ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ما سألوني وكفلت عنهم التبعات التي بينهم.

وفيه أخرج ابن المبارك عن أنس بن مالك قال وقف النبي ﷺ بعرفات وقد كادت الشمس =

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾:

قضاء المناسك هو الانتهاء عنها كلها حيث لا يبقى منسك إلّا مقضياً، فليس إلّا بعد أيام معدودات والطوافين والسعي بينهما، أم هي أصول المناسك - إذاً - فـ«قضيتم» تقضي بوجوب الطواف والسعي قبل أيام التشريق لمكان ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ . . .﴾ بعد ﴿قَضَيْتُم﴾.

فقبل قضاء المناسك لا ذكر إلّا ذكر الله، منحصراً في الله منحسراً عما سواه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ مع سائر الذكر التي تتطلبها حياتكم المتعوّدة حسب الحاجة.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ لا أن تذكروهم - فقط - دون الله، ولا دون ذكر الله، بل لا أقل من ذكره ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ في عديده، لا في مادته وكيفه ومديده، بل ذكر الله لأنه الله كما يحق لساحة قدسه، وذكر الآباء كما يحق ساحة عبوديتهم، دون إفراط هنا ولا تفريط هناك.

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ شدّاً في عدِّه، وشداً في سؤال، وفي شداً في حب حيث ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1] فهو - إذاً - شدٌّ بكل معانيه، في كل أسبابه ومغازيه، مادة ومُدة وعِدَّة وعدّة، ودون إشراك بالله في ذكرهم فإنه محظور مهما كان قليلاً.

= أن تؤب فقال: يا بلال أنصت لي الناس فقام بلال فقال أنصتوا لرسول الله ﷺ فنصت الناس فقال: يا معاشر الناس أتاني جبرئيل آنفاً فأقرأني من ربي السّلام وقال: إن الله عزوجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ﷺ هذا لنا خاصة؟ قال هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة فقال عمر بن الخطاب كثير خير الله وطاب.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

وقد يروى عن باقر العلوم عليه السلام قوله على ضوء الآية، أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آبائهم في هذا الموضع ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءَه، لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم، وأياديه عندهم أفخم، ولأنه سبحانه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم(١).

هنا ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ بل و﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ لا تعني أن يذكروا الآباء مع الله سوية أو أن الله أشد ذكراً، كإشراك بالله، وإنما يحمل طابع التنديد بذكرهم آباءهم كأن لا إله يذكر، ولئن تذكرون آباءكم لا كشركاء، فليكن أقل من ذكر الله فـ ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ على أية حال، في كل حلّ وترحال، فما آباءكم أو أبناءكم إلّا من خلق الله، وقد يحتمل ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ ذكر الوحدانية، فإن الواحد منكم أن انتسب إلى أبوين متشاكسين استاء وذكر والده الواحد وإن لم يكن به، فاذكروا الله كذلك بوحدته استياء عن شركاء له، فإنه الخالق أحرى بوحدته من الوالد.

ثم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ هو تعريف في توحيده أكثر من الأب، فأين وحدة من وحدة، فالذكر هنا يحلِّق على كل ذكر للآباء، ذكراً لوحدتهم، وذكراً لرحمتهم، وذكراً لسؤددهم وذكراً لهم حين يغضبون أو يرضون، فلتغضب لغضب الله ولترض لرضاه كما لوالديك ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

---

(١) في مجمع البيان ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠] معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام . . .

وفي تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: كانت العرب إذا وقفوا بالمشعر يقولون: لا وأبيك لا وأبي فأمرهم الله أن يقولوا: لا والله وبلى والله. أقول وهذا في غير الجدال فإنه ممنوع حالة الإحرام.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾:

تخلُّل هذه الجملة بين آيات المناسك هو بمناسبة أنها أنسب المواقف للدعاء، فهذه تحمل أنحس دعاء، والتالية أحسن دعاء وبينهما عوان، كالذي يخص دعاءه بحسنة الآخرة[1] أم يجمع بينهما حسنةً فيها ودون قيد في الأولى، أم يطلب حسنة الدنيا دون الآخرة أمّاهية من دعاء عوان بين ﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾، ومن يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

فلما قال الله ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ...﴾ شاملاً لكل ذكر ودعاء، ومنه تطلب الدنيا وأنت في عمل الآخرة، ولأن من آداب الدعاء أن تكون بعد ذكر الله بربوبيته وذكر نفسك بعبوديتك وذنوبك، تأتي ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ تفريعاً على ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ...﴾.

ويا له ترتيباً مثلثاً رتيباً رفيقاً، ذكر المناسك، ثم ذكر الله ثم الدعاء، فلا بدّ في الدعاء من سعي قبلها، ثم ذكر لله ينضجه، ومن ثم الدعاء، فالدعاء قبلهما فارغة مهما بلغت من الإصرار والتكرار.

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٣٣ - أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن حبان وابن أبي حاتم في الشعب عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له رسول الله ﷺ هل كنت تدعو الله بشيءٍ؟ قال: نعم كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله إذن لا تطيق ذلك ولا تستطيعه فهلا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ودعا له فشفاه الله».
ورواه الطبرسي في الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسن بن علي عن أبيه عليهم السلام قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا يا رسول الله أنه قد صار في البلاد كهيئة الفرخ لا ريش عليه فأتاه ﷺ فإذا هو كهيئة الفرخ لا ريش عليه من شدة البلاء فقال له: قد كنت تدعو في صحتك دعاءً؟ قال: نعم كنت أقول...